النفط مرتكز الحروب الأمريكية الجديدة في القرن الحادي والعشرين

م.م. محمد سالم احمد الكواز
مركز الدراسات الإقليمية – جامعة الموصل

المؤتمر العلمي السنوي الأول لكلية التربية الأساسية (٢٣-٢٤/أيار/٢٠٠٧)

ملخص البحث :

يقدم هذا البحث دراسة اولية عن اهم الركائز التي اعتمدتها السياسة الأمريكية المعاصرة في حروبها في القرن الحادي والعشرين الا و هو النفط ، فقد وضعت لحروبه تلك ذرائع وفقاً لاستراتيجيتها العسكرية والاقتصادية ، فاختارت اسم " الحرب على الإرهاب " مؤكدة ان منطقة الشرق الاوسط تحديداً تعد منبع الارهاب في العالم وانها تسعى بكل طاقاتها للقضاء عليه . غير ان مبرراتها كانت واضحة المعالم منذ البداية ، فهي وطبقاً للتقارير التي اعدها خبرائها في المجال النفطي والاقتصادي والجيولوجي الذين اكدوا بأن نضوب النفط في العالم بات وشيكاً ، اعتبرت الادارة الامريكية ذلك بمثابة ناقوس الخطر الذي يهدد مصالحها واقتصادها ، فلجأت الى البحث عن مواقع حيوية جديدة مستغلة كانت ام غير مستغلة والحفاظ عليها بالسيطرة على ثرواتها ومواردها الطبيعية وفي مقدمتها النفط بالتأكيد ، فقامت باحتلال افغانستان باعتبارها ممر رئيس يمكنها من خلالها السيطرة على نفط بحر قزوين ، ثم قامت باحتلال العراق باعتباره بلد يمتلك احتياطات كبيرة من الثروات النفطية الهائلة ، الى جانب موارده الطبيعية الاخرى ، ومن خلاله يمكن للولايات المتحدة الاستيلاء على بقية الثروات النفطية الاخرى في المنطقة

Oil A pole For The New American Wars in the 21st Century

Assistant Lecturer
Mohammad S.A.AL-Kawaz
Regional Studies Centre-University of Mosul

Abstract:

Industrial Revolution and what has accompanied it of results and financial guarantees, made clear that it has been in need for markets and Consumers to insure the Continuity and the growth of economic development. U.S.A. has decided to be in line with the imperial approach

in 1898, and there was the Spanish-American war. That had given the justifications for occupying the near and remote Spanish areas to reach Philippine which had stayed under the American occupation for about half century. Then Came the culture which challenged values of religions being harmful in its nature and could destroy the human environment.

In the light of u.s. leadership . the universe had witnessed four world wars. The first was against Germany and Ottoman Empire, the second was against Germany and Japan. As for the third war, it was against the U.S.S.R. and it was Called " the Cold War ".

After victories achieved by U.S.A. In the first, Second World Wars and the third one ((The Cold War)) they were mainly for the benefit of American Capitalist which started attacking all forms of other Capitalist especially Socialist European Capitalist as well as the Japanese example which transferred in the light of American economists as being the only Communism working in high efficiency. During 20th century U.S. president Woodrow Wilson, when he said that it was war which could end all wars, the freedom was his pledge said by president Franklin Rosveelt to justify U.S. entering the Second World War. President Henry Truman was in the same line expressed by the previous C.I.A. James Wilsey and U.S.A. had chosen Islam and the Moslems in Addition to oil as the target for it but under the name " War against terrorism".

The Fourth World War is the American war and it is still existed to control oil resources in Middle East Area. The truth is that the last war is also against Islam. It is the ambitions and the most important factor which moves the elite. Oil is the backbone of Capitalism and most oil resources are existed in Moslem lands.

Some see that the aim demands the existence of continuous war. But the war is the name of the game practiced by Capitalist elite. In this topic Roderik Brathwaite , the previous president of British common

Intelligence had written in Financial Times saying: Fish traders do not practice any thing but selling Fish, and war traders do not practice any thing but marketing wars. This is what is done by president George W. Bush by stressing when he is describing himself as being " I am a militant President " .

There is a fact recognized by callers of U.S. hegemony upon the World from financial and military elite which says that their states are about to exhaust their oil resources. King Hubbard a geologist and oil expert expected that oil production has started its journey of retreat and America should depend more and more upon foreign oil imported to move the process of its national product .

مقدمة :

تسعى الاستراتيجية في القرن الحادي والعشرين الى تحقيق ما اطلقت عليه استراتيجية البنتاغون "طيف الهيمنة الكاملة" الى تحقيق الهيمنة على كل شيء وفي كل مكان ، ويأتي النفط الإسلامي وغير الإسلامي على رأس قائمة الاهداف للاستراتيجية الامريكية المعلنة، ونظراً لوجود معظم الاحتياطي العالمي من النفط تحت ارض الدول الإسلامية ، فأن اخر حروب النفط في القرن الامريكي الجديد تتركز في الشرق الاوسط ،الا ان هذا لا يخفي ان الولايات المتحدة تخوض في الوقت نفسه حروباً نفطية اخرى في امريكا اللاتينية وافريقيا واسيا . ففي امريكا اللاتينية تمتد المصالح النفطية من المكسيك الى الارجنتين مروراً بكولومبيا وفنزويلا والاكوادور والبرازيل ، وعبر الاطلسي الى افريقيا تتواجد الشركات النفطية الامريكية في نيجيريا وانغولا وغينيا الاستوائية ، وصولاً الى السودان وجنوب افريقيا وزيمبابوي . وفوق ذلك تخوض الولايات المتحدة حروبها النفطية في العراق وعبر الشرق الاوسط الغني بالنفط وحول المناطق الغنية بالذهب الاسود في الاتحاد السوفييتي السابق بما فيها روسيا الاتحادية حالياً جنوب افغانستان .

وتعود المحاولات الامريكية الدؤوبة للحفاظ على هيمنتها على منطقة الشرق الاوسط بشكل خاص ، والدول النفطية الخارجة من تحت الهيمنة السوفييتية الى احتمالات انضمام هاتين المنطقتين للنادي النووي ، وطبقاً للاقتصادي الامريكي (جاي سميث) فأن في حالة حدوث ذلك سيكون لدول الشرق الاوسط من القوة ما يسمح لها بحماية مصادرها والاستقلال بموافقتها . فمصادر الشرق الاوسط والاتحاد السوفييتي يمكن ان تضاهي ما يملكه الغرب ، وعليه فأننا نجد بأن معظم الانفاق العسكري للغرب يذهب للحفاظ على السيطرة على هذه المنطقة المتفجرة من

العالم ، ومنذ عام ١٩٩٢ والجهود في هذه المنطقة في تصاعد مستمر حيث تحولت المنطقة قبلة للجهود العسكرية الامريكية ، فهناك عملية انتشار عسكري واسع النطاق تنفذها الولايات المتحدة وتستهدف اسيا الوسطى والعراق بشكل خاص.

فمع انهيار الاتحاد السوفييتي الذي تزامن مع حرب الخليج الثانية في عام ١٩٩١ باشرت الادارة الامريكية في التحركنحو السيطرة على الموارد الاقتصادية في جمهوريات اسيا الوسطى الإسلامية ودول الشرق الاوسط ، فكانت احداث ١١ ايلول / سبتمبر ٢٠٠١ ساعة الانطلاقة لتنفيذ مخططاتها فاختارت هذه المرة مبرراً لنشر قواتها هناك اسم " الحرب على الارهاب" فابتدأت بافغانستان لاهميتها الكبيرة بالنسبة للخطط الامريكية الخاصة بالسيطرة على نفط وغاز حوض بحر قزوين للبدء في عملية لتطويق عسكري لعدو سابق ومحتمل هو روسيا الاتحادية .،وبعد احكام سيطرتها هناك اتجهت اهداف الادارة الامريكية نحو العراق للسيطرة على المنابع والامدادات النفطية.

وفقاً لما تقدم قسمت هذه الدراسة الى ثلاث محاور المحور الاول نستعرض فيه مبررات السياسة الاميريكية في حروبها في القرن الجديد ، في حين ان المحور الثاني تناول حربها على افغانستان للاستحواذ على منابع النفط في منطقة بحر قزوين ، اما المحور الثالث والاخير تطرق الى الحرب على العراق الذي عدته الادارة الامريكية بداية النهاية للاستحواذ على اهم واغنى حقول نفطية في العالم الى جانب ما تسعى اليه في الوقت الراهن بتحقيق هدفها الثاني للسيطرة على نفط ايران .

مبررات الحروب الأمريكية في القرن الحادي والعشرين

تعود مبررات الاستراتيجية الامريكية للاستحواذ على منابع النفط في العالم الى خطاب الرئيس الامريكي السابق (جيمي كارتر١٩٧٦-١٩٨٠) عبر قنوات التلفزة وذلك بتاريخ ١٨ ابريل/نيسان ١٩٧٧ حيث قال:

" اود الليلة ان اتكلم بطريقة لا تسر عن مشكلة غير مسبوقة المثيل في تاريخنا ، وهي اخطر تحد سيواجهنا في ايامنا المقبلة ، وهي مشكلة ليس لها حل في السنوات القادمة القليلة ، وسوف تزداد سوءاً مع الايام خلال هذا القرن ...بكل بساطة ، علينا التأقلم في استهلاك موارد الطاقة بما يتناسب وما لدينا من مصادر ، والتي تتناقص بوتيرة متسارعة ، ولو بدأنا العمل اليوم فلربما نستطيع ان نتحكم بمستقبلنا ، والا تحكم المستقبل بنا ... سأتقدم بمقترحاتي حول ذلك في اليومين القادمين ... واكثر هذه المقترحات لن تكون مرغوبة لكم ، حيث سيتطلب بعضها ان تقوموا بالتضحيات ... لكن المهم من تلك المقترحات ان بديلها هو الطاقة الكبرى لنا ، وتأخير الحلول سيؤثر علينا كقوة دولية... ان النفط والغاز اللذين يكونان ٧٥% من استهلاكنا للطاقة

آخذان في النضوب ...يستهلك العالم ٦٠ مليون برميل في اليوم ويزداد الطلب بمعدل ٥% سنوياً وهذا يعني انه لإشباع هذه الزيادة في الطلب بمعدل، علينا ان نجد استخراجات جديدة بحجم انتاج تكساس كل سنة، او المنحنى الشمالي في ألاسكا كل تسعة شهور، او بحجم انتاج المملكة العربية السعودية كل ثلاث سنوات، اذن فلامر لا يمكن بقاؤه على هذا الحال ... واذا لم نبدأ بالعمل اليوم فسوف نواجه ازمات اقتصادية واجتماعية وسياسية ستهز اركان مؤسساتنا... لا يمكنا الاستمرار في الاعتماد بنسبة ٧٥% على النفط والغاز لاستهلاكنا ، في الوقت الذي يشكل النفط والغاز ٧% فقط من احتياطاتنا المحلية ، علينا اللجوء الى الفحم الحجري مع الحفاظ على البيئة ، والى المحطات النووية مع الحفاظ على السلامة ...ولكن لا بد من ايجاد وسائل بديلة للتعويض على ما تبقى من احتياطاتنا النفطية في المستقبل والحل لا يكون الا بالتحرك نحو خارج الولايات المتحدة والبدء بوضع استراتيجية اقتصادية تؤمن مستقبلنا النفطي ، ثم بعد ذلك لا بد لنا من ايجاد وسيلة لتحركاتنا حتى لو تطلب الامر خوض حروب اقتصادية وعسكرية وسياسية كأقل حد ادنى يلزمنا في مواجهة الخطر الذي سيداهم بلادنا في نهاية هذا القرن" [١] .

وقد عزز (مايكل غرير) الخبير الاقتصادي الامريكي في شؤون النفط من العام نفسه أي عام ١٩٧٧ بتقرير جاء فيها:" ان الاقتصاد العالمي الذي يعتمد على الاحلام بنحو مستمر سيصطدم مع الحقيقة وموارد الارض المحدودة في بدايات القرن الحادي والعشرين ... انا اقترح ان تقوم الولايات المتحدة بعمل شامل لتهيئة برنامج ضروري للوصول الى الحد الادنى لمعالجة المشكلة حتى وان كان الامر بمثابة انتحار سياسي" [٢] .

وفقاً لتلك المعطيات المستقبلية جندت وكالة المخابرات المركزية الامريكية في عام ١٩٧٧ جميع ما تم التوصل اليه من احتمالات حدوث ازمة في العالم في حال نضوب النفط وخاصة ما توصل اليه الجيولوجي النفطي الامريكي(كينك هيوبارد) حول ذلك للاستفادة من خبراته الواسعة في المجال النفطي . حيث ارادت وكالة المخابرات المركزية معرفة الوقت المحتمل لوصول الاتحاد السوفييتي الذي كان وقتها اكبر منتج للنفط بطاقة ١٢مليون برميل يومياً الى ذروته انتاجه، اذ جاءت توقعات هيوبارد لتشير الى ان النفط السوفييتي سيصل ذروته في عقد الثمانينيات ليبدأ بعدها مرحلة التراجع السريع ، مما يعني تراجعاً كبيراً في حجم الصادرات ، وبالتالي حرمان الخزينة السوفييتية من اهم مصادرها من العملة الصعبة ، بعدها يصبح انهيار الاتحاد السوفييتي مسألة وقت[٣] .

طبقاً لذلك اعدت النخبة الامريكية استراتيجية امبريالية جديدة للسيطرة على المنطقة التي تتحكم بامدادات الطاقة العالمية الى جانب الاهمية الاستراتيجية التي تكتسبها اراضيها المترامية، ففي عام ١٩٩٢ قدم (بول وولفوتيز) الجنرال الامريكي في وزارة الدفاع ورقة سرية حول الاستراتيجية العسكرية الامريكية القادمة والتي عدت البرنامج الفعلي لمشروع الامبراطورية

الامريكية العالمية ، كما عدت الاساس لعقيدة بوش المعلنة في ايلول ٢٠٠٢ والخاصة بالحروب الاستباقية والاستراتيجية الامنية في القرن الجديد . فقد حملت ورقة وولفوتيز عنوان دليل التخطيط الدفاعي للسنوات ١٩٩٤-١٩٩٦ ، وقد تم توزيع هذا البيان الداخلي الخاص بسياسة الادارة الامريكية على كبار القيادات العسكرية والمدنية في وزارة الدفاع ، بهدف ارشادهم لكيفية اعداد القوات والميزانيات والاستراتيجية الدفاعية للسنوات الخمس التالية ، اذ كانت الوثيقة الوحيدة من نوعها في مرحلة ما بعد الحرب الباردة ، وجاءت الوثيقة لترسم صورة جديدة لعالم فيه قوة عظمى وحيدة يتوجب على قادتها الحفاظ على اليات كفيلة لردع أي منافسين محتملين على التطلع للقيام حتى بدور اقليمي او عالمي من أي نوع منها على سبيل المثال ما جاء فيها :" سيكون هدفنا الرئيس الحيلولة دون ظهور منافس جديد سواء في اراضي الاتحاد السوفييتي السابق او في أي مكان اخر . كما ان هدفنا يشكل اساساً لإستراتيجيتنا الدفاعية الجديدة ، اذ ستظهر تهديدات تكون مبعث قلق رئيسي لمستقبلنا ، وهذه التهديدات على الاغلب في مناطق تشكل اهمية كبيرة بالنسبة للولايات المتحدة وحلفائها ، بما فيها اوروبا الشرقية وشرق آسيا والشرق الاوسط وجنوب غرب آسيا ومناطق الاتحاد السوفييتي السابق وفي امريكا اللاتينية والصحراء الافريقية، وعلى ضوء ذلك فأن الولايات المتحدة ينبغي عليها منع سيطرة أي قوة معادية على هذه المناطق الرئيسية" [٤] .

هكذا صيغت استراتيجية البنتاغون المعدة من قبل وولفوتيز بتخطيط يهدف الى خلق القرن الامريكي الجديد وامبراطوريته العالمية ، فالمخططون من النخبة الاستراتيجية هم من النخبة السلطوية في مجلس العلاقات الخارجية الامريكية الى جانب رجالات وكالة المخابرات المركزية مدركين في ذلك الوقت الى حقيقة ان الحقول النفطية الرئيسية في منطقة الشرق الاوسط وخارجها وربما الاتحاد السوفييتي آخذة في النضوب وبسرعة كبيرة ، وكشرط للسيطرة على العالم ، فأن على الالة العسكرية الجبارة السيطرة على مصادر النفط في العالم .

من جانب اخر ينظر البعض من ابرز زعماء وكبار الاستشاريين في الشؤون النفطية في الولايات المتحدة الى مستقبل النفط بكثير من التشاؤم الى حد وصفه بالوضع الميئوس منه، الامر الذي يشكل قضية يواجهها العالم في الوقت الحالي ، بل ان تشاؤم البعض يصل الى حد توقع مفاجئة للتقدم الحضاري الحالي اساساً على النفط ، ومثل الحقيقة لا تغيب عن بعض قادة العالم السياسيين الذين يعترفون بها في مجالسهم الخاصة ، وكذلك في دراساتهم وتقاريرهم السرية ، فقد تحدث نائب الرئيس الامريكي (ديك تشيني) في اجتماع مغلق نظمه المعهد البريطاني للنفط بلندن في نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٩٩ حول ذلك جاء فيه:"من الواضح لنا جميعاً بأن انتاج النفط آيل للنضوب ، ولهذا يترتب استكشافات المزيد من الاحتياطي النفطية وتطويرها كل عام بما يعادل حجم الانتاج، وذلك لتحقيق التعادل المطلوب ، وهي حقيقة لا تمس الشركات

النفطية فحسب ، بل تمس القطاع الاقتصادي على مستوى العالم بشكل عام ، وعلى سبيل المثال فان شركة نفطية مثل ايكسون موبيل- Exxon Mobil مطالبة بتأمين احتياطات نفطية جديدة بحجم ٥،١ مليار برميل برميل سنوياً لتعويض حجم انتاجها السنوي ... الامر هنا اشبه بمن يتقاضى فوائد مالية بنسبة ٠% ، وهذا يعني استكشافات حقل نفطي رئيسي جديد بحجم ٥٠٠ مليون برميل كل اربعة اشهر ، اما على المستوى العالمي فأن الشركات النفطية مطالبة باستكشاف ما يكفي من النفط واستخراجه لتعويض الاستهلاك السنوي الذي يتجاوز حالياً ٧١ مليون برميل يومياً ، بالاضافة الى تلبية الزيادة على الطلب الاخذ في التعاظم ، الذي تضعه بعض التقديرات بحدود ٢% سنوياً يضاف اليها ٣% هي نسبة التراجع الطبيعي في الانتاج من الاحتياطات الحالية ، وهذا يعني اننا سنجد انفسنا عام ٢٠١٠ بحاجة الى ٥٠مليون برميل اضافياً كل يوم لتلبية الزيادة في الاستهلاك العالمي من النفط... وفي الوقت الذي توفر فيه المناطق في العالم فرصاً حقيقة يظل الشرق الاوسط بما من ثلثي حجم العالمي العالمي من النفط ، يشكل منطقة الجائزة الكبرى ، ومع ان الشركات النفطية تواقة لتعزيز وجودها هناك ، الا ان ما يتم احرازه من تقدم في هذا المجال يغلب عليه البطء الملحوظ"[٥] .

طبقاً لحسابات تشيني فأن حجم الزيادة في الاستهلاك من النفط عام٢٠١٠ سيطلب اكتشافات جديدة تقوم بانتاج ستة إضعاف ما تنتجه المملكة العربية السعودية في الوقت الحاضر ، وهو امر يتحقق كما تؤكد الدراسات كافة .

وكانت توقعات تشيني قد قام نتكرارها (هاري لونغريل) مدير ونائب الرئيس التنفيذي لشركة أيكسون موبيل الذي كتب في مجلة وورلد انييرجي يقول فيها:" الفكرة الأساسية هنا هي ان ازدياد النفط يقابله نضوب في الانتاج الحالي ، وتشير التوقعات الى انه بحلول عام ٢٠١٠ وهي زيادة تفوق قدرة المنتجين تفوق قدرة المنتجين الحالية ، الامر الذي يشكل تحدياً كبيراً لهم ، اما جون ثومبسون رئيس شركة ايكسون موبيل للاستكشاف فقال امام اجتماع للهيئة العمومية عام ٢٠٠٣ : بحلول عام ٢٠١٥ ستكون في وضع يحتم علينا استكشاف كميات من النفط والغاز وتطويرها وانتاجها تعادل ٨٠% من حجم الانتاج الحالي" [٦] .

وجاء تقرير لجنة دراسة الطاقة التي امر بتشكيلها تشيني نفسه بعد ما اصبح نائباً للرئيس الامريكي بوش ونشر عام ٢٠٠١ جاء على القدر نفسه من التشاؤم والتحذير ، حيث جاء في التقرير الفرق الاهم بين الحاضر وما كان عليه الوضع قبل عقد من الزمان هو التآكل السريع وغير العادي الحاصل للطاقات الاحتياطية في بعض قطاعات سلاسل الطاقة وبخاصة قطاع النفط"[٧] .

ويقول سبنسر ابراهام الخبير الاقتصادي الأمريكي في شؤون النفط بخصوص هذا الشأن "ستواجه امريكا ازمة رئيسية من امدادات الطاقة على مدار العقدين القادمين ، واي فشل في

مواجهة هذا التحدي من شأنه ان يهدد ازدهارنا الاقتصادي ويعرض امننا القومي للخطر وسيكون له اثره الكبير في احداث تغييرات جذرية في حياة الامريكيين" [٨] .

ويتوقع الخبراء بأن يتراوح سعر النفط بين ٥٠-٦٠ دولار للبرميل لسنة ٢٠٠٥ ولربما سنة ٢٠٠٦ ، الا انه مع ازدياد الفجوة بين العرض والطلب قبا دخول محطات توليد طاقة نووية قبل عام ٢٠١٠ فأن السعر عندئذ سيصل ما بين ١٠٠الى ١٠٥ دولار للبرميل ، وتبدو هذه الارقام شبه خيالية ، لكنها ليست كذلك ، فلقد كان سعر النفط في سنة ١٩٨٠ معدلاً بسعر الدولار حالياً يساوي٧٥ دولار للبرميل ، وذلك قبل ربع قرن حين كانت هناك وفرة في الانتاج [٩].

وفي تقريرها في نيسان ٢٠٠٤ نشرت ادارة معلومات الطاقة Energy Information Admintration توقعاتها الخاصة بحجم انتاج منطقة الشرق الاوسط من النفط للسنوات العشرين المقبلة ، فطبقاً للتقارير ، فأن حجم انتاج دول الخليج من النفط لعام ٢٠٠١ كان يمثل ٢٩% من اجمالي الانتاج العالمي في حين ان التوقعات تشير الى ان حصة دول الخليج سترتفع الى ٦٠% من انتاج العالمي بحلول عام ٢٠٢٥ مما يعني بأن الحياة الاقتصادي للولايات المتحدة ستعتمد وبشكل كبير على الشرق الاوسط ، وكذلك الامر بالنسبة لاجندتها الخاصة بالرأسمالية والعولمة والامبراطورية ، ولهذا لم تعد الهيمنة على المنطقة بالوكالة بواسطة الاصدقاء اوالعملاء كافية بحد ذاتها بل حان وقت الاحتلال المباشر، وقد وقع الاختيار على العراق لتوافر ظروف مؤاتية جعلت من هذا البلد الضحية الاولى والاسهل للمخطط الامريكي الكبير[١٠] .

فأستكمالاً للتقرير الصادر عن دراسة الطاقة كما اشرنا اليه سابقاً ، فأنه يتحدث عن خطط امريكية للتعامل مع مشكلة النقص المتوقع في الامدادات النفطية . فبعد توضيح حقيقة ان الشعب الامريكي مستمر في المطالبة بتوفير كميات وافرة من النفط الرخيص ، من دون الاستعداد لتقديم أي تضحيات او تقديم أي تنازلات في هذا الشأن ... ان امريكا تبقى اسيرة معضلة الطاقة ، الامر الذي سيدفعها الى الاقدام على التدخل العسكري لتأمين امداداتها النفطية... ومن الاشخاص الذين حذروا من العواقب السياسية التي ستترتب على النقص المتوقع في الامدادات النفطية هو(جاي هانسون) الخبير الجيولوجي الامريكي الذي توقع عام ١٩٩٧ ان تشهد الاعوام الاولى من القرن الحادي والعشرين تراجعاً في قدرة الانتاج النفطي على تلبية الطلب العالمي ، وبأن الولايات المتحدة ستغزو العراق تحت مبررات زائفة وتستولي على حقوله النفطية وتقيم حكومة احتلال ... واستطر التقرير ان هانسون توقع كذلك في عام ١٩٩٥ بأن الانتاج النفطي سيكون في عام ٢٠٠٠ قد وصل الى ذروته ليبدأ بعدها رحلة التراجع امام تعاظم الطلب العالمي على النفط الامر الذي سيدفع الولايات المتحدة الى شن حروب عالمية تستهدف بشكل خاص الهيمنة على الدول النفطية المسلمة...ان دول الاوبك ستعمد على تخفيض انتاجها في ذلك التاريخ لتغطية حقيقة التراجع الحاصل في قدرة حقولها النفطية عندها

ستبدأ الولايات المتحدة بتطبيق قوانين غير ديمقراطية (فاشية الطبع) للسيطرة على ردود الرأي العام الامريكي تجاه الصدمات النفطية القادمة [١١] .

ومما زاد من النقص المتوقع في الامدادات النفطية لدى الامريكان هو تصرح للعالم والخبير الجيولوجي البريطاني (كولن كامبل) حينما ادلى بشهادته امام مجلس العموم البريطاني في عام ١٩٩٩ حيث قال :" وصلت الاستكشافات النفطية الجديدة الى ذروتها في الستينيات ، اما الان فنحن نعثر على برميل واحد مقابل كل اربعة براميل نستهلكها ... ان المشكلة التي يتحدث عنها الامريكيون في نضوب النفط هي العجز في تحقيق التوازن بين الانتاج والطلب المتعاظم على النفط ، فأن القصور في الانتاج مقارنة بالطلب بنسبة ١-٥% من شأنه ان يتسبب بحالة ركود ، واذا ما ارتفعت النسبة من ٥-١٠% فأن العالم سيشهد اسوأ ركود في التاريخ ، اما اذا ازدادت النسبة على هذه المعدلات فستكون النتيجة كارثة بمعنى الكلمة ، الا انه ما ان يتجاوز العالم مرحلة ذروة الانتاج بالنسبة لتبدأ مرحلة التراجع ، تصبح الزيادة السنوية في الطلب بمعدل ٢% مقابل تراجع في الانتاج بالنسبة نفسها سبباً لحدوث تغييرات اقتصادية خطيرة ، وفي هذه المرحلة تحديداً تجد الولايات المتحدة نفسها مدفوعة للتحرك للسيطرة على حركة السوق النفطية من حيث توزيع الكميات وسقف الاسعار وهي سيطرة لا تأتي بدون احتلال فعلي لمنابع النفط" [١٢] .

وتحت عنوان "نهاية عصر النفط الرخيص" كتب العالم الجيولوجي الفرنسي (جان لاهيريري) في مجلة سينتفك امريكان قائلاً:" ان ما سيواجه مجتمعنا وفي وقت غير بعيدة هو نهاية وفرة النفط الرخيص الذي تعتمد عليه جميع الدول الصناعية ... ومن تحليلنا الواقع لحقول النفط المستكشفة والنتجة حول العالم ، يمكننا القول ان حجم العرض من النفط التقليدي لن يكون كافياً لتلبية الطلب عليه خلال السنوات العشر القادمة ، وهذا الاستنتاج يتناقص مع الصورة التي ترسمها التقارير الصادرة عن صناعة النفط العالمية... لسوء الحظ فأن هذه التقديرات تنطوي على ثلاثة اخطاء كبيرة ، فهي تعتمد على تقديرات غير دقيقة لحجم الاحتياط العالمي من النفط ، وتبدو خادعة عندما تتظاهر بأن الانتاج سيستمر على ثباته الحالي والخطأ الثالث والاكبر هو الاعتقاد السائد بأن اخر دلو من النفط سيتم ضخه من باطن الارض بالسهولة والسرعة فيهما اللتين تحكمان تدفق النفط من الابار في الوقت الحالي علماً بأن معدل انتاج أي بئر في أي بلد دائماً ما يصل الى الذروة ليبدأ بعدها عملية التراجع التدريجي...من جهة النظر الاقتصادية فأن ما يهم مباشرة هو ليس النضوب الكامل للنفط بقدر الاسعار ستبدأ بالارتفاع السريع مع بدء التراجع في الانتاج ما لم يقابله تراجع في الطلب...توصلت الى قناعة بأن التراجع المنتظر في انتاج النفط سيبدأ قبل عام ٢٠١٠"[١٣] .

يتضح من تفسيرات الجيولوجي لاهيريري انه توصل الى نتيجة مفادها ان التحول من النمو الى التراجع في الانتاج النفطي من شأنه ان يخلق اوضاعاً اقتصادية وسياسية صعبة ، وبأنه ما لم تثبت بدلائل الطاقة الاخرى مصداقية كافية لتحل محل النفط الخام ، فأن حصة دول الشرق الاوسط الاعضاء في الاوبك سترتفع بصورة كبيرة وسريعة ، فأن حصة هذه الدول من تجارة النفط العالمية مرشحة لتجاوز نسبة ٣٠% أي قريبة من المعدل الذي وصلت اليه خلال صدقة الاسعار النفطية في السبعينيات ، ومن المرجح ان تصل هذه الحصة ان تصل هذه الحصة الى ٥٠% بحلول ٢٠١٠ الامر الذي يمنح الدول الإسلامية الاعضاء في الاوبك موقعاً قوياً في الساحة الدولية،وهذا ما لا تتقبله الولايات المتحدة ولا يمكنها السماح به.

وتأتي دراسة مركز تحليل نضوب النفط لتؤكد صحة ما سلف من توقعات قائلة: "طبقاً للبيانات التي اوردتها نشرة البريتش بتروليوم لاحصاءات الطاقة في العالم فأن ١٨ من الدول الرئيسية المنتجة للنفط وصلت حالياً الى ذروة الانتاج لتبدأ مرحلة التراجع ، حيث تم تسجيل تراجع في حجم انتاجها الاجمالي اليومي بمقدار مليون برميل ، علماً بأن هذه الدول تتحكم بنسبة ٢٩% من اجمالي الانتاج العالمي من النفط"[١٤] .

وحول هذا الموضوع تحدث (ماثيو سيمونز) احد كبارالمستشارين في ادارة الرئيس الامريكي جورج بوش ونائب رئيس لجنة الطاقة التي شكلها ديك تشيني عام ٢٠٠١ في تصريح له امام الكونغرس الامريكي بقوله:"هناك امر يعرفه الجميع ، وهو ان مصادر النفط والغاز آيلة للنضوب بأعتبار من المصادر غير المتجددة . كما ان العالم يستهلك حالياً ما معدله ٢٨ مليار برميل سنوياً ، حيث يعتمد بشكل شبه كلي على النفط كمصدر للطاقة أي ما يعادل خمس اسداس مصادر الطاقة...صحيح انه من الصعب تحديد وقت الوصول الى نقطة الذروة في الانتاج بدقة قبل ان تحدث فعلياً ، الا ان هذه اللحظة قادمة بدون شك، وتحليلاتي بهذا الشأن تدفعني للقول وبشعور يغلب عليه القلق بأنها قريبة...انا هنا لا اتحدث عن اعوام طويلة ... ولسوء الحظ ان العالم لا يملك خطة المواجهة لخطة حقيقية... ما نعنيه بذروه الانتاج من منظور الطاقة هو الوصول الى مرحلة يتعذر معها تحقيق أي زيادة في معدلات الامدادات النفطية ، عندها سيواجه العالم اكبر مشكلة حتى الان" [١٥] .

حرب افغانستان ونفط حوض بحر قزوين

كانت احداث ١١سبتمبر/ ايلول ٢٠٠١ بمثابة الشرارة التي اشعلت الفتيل حيث اعتبرت منطلق الاهداف الاستراتيجية الامريكية التي رسم وصيغ مخططها بشكل دقيق منذ عقود خلت ، وحان الان تحقيقها والبدء بتنفيذها ، فتحت شعار "الحرب على الارهاب" حشدت الولايات المتحدة كل طاقاتها السياسية والعسكرية للاستيلاء على النفط في بلاد المسلمين على وجه الخصوص.

جاءت الحرب الامريكية على افغانستان في ٧ اكتوبر / تشرين الاول٢٠٠١ تنفيذاً لاستكمال الهيمنة على النفط الدولي والسيطرة على اخر اكبر احتياطي للنفط في منطقة بحر قزوين. وكان افضل وصف لهذه المرحلة ما اوردته مجلة البسنس ويك بالقول :" تسارعت الجهود الامريكية لاقامة نفوذ واسع للولايات المتحدة في اسيا الوسطى بعد ١١ سبتمبر لتأخذ الشكل التالي وهو انه قبل عام فقط ، لم يكن هناك حندي امريكي واحد في المنطقة ، واليوم يعمل نحو اربعة الاف امريكي على بناء قواعد لاستضافة الوجود الامريكي عبر المنطقة الممتدة بين قيرغيزستان على الحدود الصينية وجورجيا على البحر الاسود بطول ٢٠٠٠ ميل"[١٦]. وفي ذلك يقول وزير الدفاع الامريكي السابق (دونالد رامسفيلد) :" ان القوات الأمريكية ستبقى في المنطقة طالما كان ذلك ضرورياً" [١٧] .

اعادت شركات الطاقة النفطية العملاقة احياء اهتماماتها بمنطقة اواسط اسيا احد اخر مناطق الحقول النفطية غير المستغلة في العالم وعليه فقد قررت شركة BP البريطانية وشركة هالبيرتون الامريكية التي يرأسها ديك تشيني قررتا استثمار ١٢ مليار دولار في المنطقة ، فما تشهده منطقة بحر قزوين هو سياسة قائمة علىالقوة العسكرية والنفط ، اما القوة العسكرية فستكون هناك لحماية المناطق المحلية من الاصوليين الإسلاميين حسب ما تدعيه الادارة الامريكية وستوفر الحماية للنفط بالطبع [١٨] .

تفاوتت التقديرات الخاصة بحجم الاحتياط النفطي لحوض بحر قزوين من ٢٠٠ مليار برميل ، أي ما يعادل حجم الاحتياط السعودي الى اقل من ١٠٠ مليار برميل أي على قدم المساواة مع احتياط بحر الشمال وبقيمية تقديرية تصل الى ٧،٢ تريليون دولار. وهنا تلتقي الخضرمة الدبلوماسية بالمصالح النفطية ، فمناطق بحر قزوين هي مناطق مغلقة يتوجب ضخ نفطها الى البحر الاسود والمتوسط والخليج العربي قبل ان تحمله الناقلات الى الاسواق العالمية ، ولعل هذا احد الاسباب الوجيهة للحرب الامريكية على افغانستان التي سيمر بها خط النفط ، وكان(هنري كيسنجر) وزير الخارجية الامريكي السابق اكثر المؤيدين لاقامة الخط المذكور قبل ١١ ايلول كونه مستشاراً لشركة انوكال –Unocal الامريكية [١٩] .

وهكذا نجد ان الولايات المتحدة استحوذت على حقول نفط الشرق الاوسط مرة عبر البوابة العراقية ، وكان العراق الساحة الاخيرة للعمليات الامريكية الرامية للسيطرة على نفط الشرق

الاوسط والعالم من خلال غزو واحتلال اراضه . ففي الاسابيع الاولى من عام ٢٠٠٢ وبعد وقت قصير من سقوط القنابل الامريكية على كابول العاصمة الافغانية قرر الرئيس الامريكي جورج بوش احداث تحول في استراتيجيته الخاصة بما يطلق "الحرب على الارهاب" ، وعلى مدار اشهر والجدل مستمر حول خطط بوش الجلية تجاه ما دعاه بتغيير النظام في العراق تلك الذريعة التي غزا بها العراق . وهنا يكمن سر اندفاع بوش المفاجيء نحو العراق وهو ما اطلق عليه الخبراء اسم"الذروة النفطية" ويعود التوقيت وسرعة اتخاذ القرار بالحرب الى الصدمة القاسية التي تلقتها الخطط السياسية الامريكية الخاصةبنفط بحر قزوين ، حيث ان الاحلام الامريكية بالعثور على احتياطات نفطية هائلة تعوضها عن الاعتماد على نفط الشرق الاوسط ولو مؤقتاً انتهت بالفشل(٢٠).

كانت التوقعات الامريكية انذاك تفيد بأن منطقة بحر قزوين في اسيا الوسطى تضم احتياطات هائلة تقدر بأكثر من٢٠٠ مليار من النفط غير المستخرج لدرجة انه اطلق عليها اسم "السعودية الجديدة" فطبقاً لدراسة اولية قامت بها شركة انيرون–Eneron ، فأن اسهل وارخص طريقة لايصال نفط بحر قزوين الى الاسواق هي من خلال مد انابيب بين كازاخستان والحدود الباكستانية عبر افغانستان. وفي اواخر التسعينيات لم تكن شركة انيرون وحدها تراهن على الغاز الطبيعي من منطقة بحر قزوين لتغذية مشاريعها في الهند ، بل كانت هناك شركات كبرى اخرى تتطلع لمصدر الطاقة هذا ، مثل شركة يونوكال–Unical وشركة هالبيرتون . وهنا لابد من الاشارة الى قول ديك تشيني في عام ١٩٩٨ :" لا اذكر انه مر وقت ظهرت فيه فجاه منطقة لها الاهمية الاستراتيجية مثل بحر قزوين"(٢١) .

والواقع ان الاحتياطات النفطية لمنطقة بحر قزوين كانت عنصراً أسياسياً في خطة الطاقة التي اعدها تشيني في ايار ٢٠٠١ ، وطبقاً للتقرير الذي اعده بهذا الشأن ، فأن التوقعات تشير الى ان الولايات المتحدة ستستورد٩٠% من احتياجاتها النفطية من الخارج بحلول عام ٢٠٢٠ ، الامر الذي يكسب نفط بحر قزوين اهمية استراتيجية في تلبية للطلب الامريكي المتنامي على الطاقة ، ويقلل في الوقت ذاته من الاعتماد الامريكي على نفط الشرق الاوسط . غير انه سرعان ما توقف الحديث عن ثروات بحر قزوين النفطية بعد الحرب الامريكية على أفغانستان مباشرة ، وعاد التركيز في الاهتمامات الامريكية النفطية على الشرق الاوسط وبخاصة نفط السعودية والعراق، وفي ذلك نقل عن الخبير الجيولوجي النفطي كولن كامبل في عام ٢٠٠٢ وتحديداً بعد الحرب على افغانستان القول:" ان الاستكشافات النفطية في دول حوض بحر قزوين جاءت مخيبة للامال من حيث انها جاءت اقل بكثير مما كان متوقعاً ، علاوة على النوعية الرديئة للنفط المستخرج"(٢٢) .

الولايات المتحدة والاستحواذ على نفط العراق

بحلول عام ٢٠٠٣ ، بدا واضحاً ان التوقعات الخاصة بحجم الاحتياطات النفطية في حوض بحر قزوين ، والتي وضعتها وكالة اعلام الطاقة (EIA) في واشنطن انه بحدود ٢٠٠ مليار برميل مبالغ فيها الى حد كبير ، فقد اعلن (ستيفن مان) مدير مكتب السياسة النفطية بوزارة الخارجية الامريكية ان حجم الاحتياطات المذكورة لا يتعدى ٥٠% مليار برميل ومما قاله مان ان نفط بحر قزوين لا يشكل اكثر من ٤% من حجم الاحتياط العالمي المعروف ، الامر الذي لا يجعله قادراً على التأثير على الاسواق العالمية بل ان توقعات مان جاءت مبالغاً فيها بدورها ، فبعد حفر ثلاث ابار استكشافية مع نهاية الحرب الافغانية جاءت التقارير الفعلية لتشير الى ان منطقة بحر قزوين تضم ما بين ١٠-٢٠ مليار برميل فقط ، وان كانت غنية بالغاز الطبيعي ، بعدها بدأت الشركات النفطية الكبيرة ، وبهدوء الغاء خططها الخاصة بمشروع خط الانابيب عبر افغانستان ، بعد ان تبين عدم جدوى هذا المشروع الضخم اقتصادياً[٢٣] .

بعد ورود التقارير المخيبة للامال لم تعد الولايات المتحدة تتحدث عن نفط بحر قزوين بالتفاؤل الذي غلب عليها في البداية عندما اطلقت على المنطقة المذكورة اسم الشرق الاوسط الجديد ، ولم تعد منطقة بحر قزوين تشكل المصدر الموعود الذي سيعوض العالم عن التراجع في حجم التدفق النفطي بما يكفي لمواجهة الطلب المتعاظم عليه في السنوات القادمة .

تحول الاهتمام الامريكي الى الشرق الاوسط بدءاً من العراق، ففي الواقع ان الانظار الامريكية كانت دوماً تركز على العراق ، الذي تحدثت التقارير فصولاً عن امتلاكه احتياطات نفطية تصل الى ١٢مليار برميل أي ما يعادل ١١% من حجم الاحتياط الاجمالي العالمي من النفط .غير ان اهتمامات الروس والفرنسيين والصينيين باستئجار الحقول العراقية غير المكتشفة اكسب العراق المزيد من الاهمية لدرجة ان التقارير تحدثت عن امكانية امتلاك العراق احتياطات نفطية تتجاوز ٢٠٠ مليار برميل ، وهنا يكمن السبب الحقيقي وراء قرار بوش بغزو العراق عام ٢٠٠٣ [٢٤] .

لقد تحدث الجناح المتشدد من المسؤولين الامريكيين في البنتاغون المعروفين بالصقور، تحدثوا عن صراحة الحرب على العراق وهي من اجل النفط وليس نزاع اسلحة الدمار الشامل العراقية المزعومة ، فهذا والجنرال في وزارة الدفاع الامريكية (بول وولفوتيز) يقول في مقابلة صحفية له في سنغافورة بتاريخ ٣١ايار/ مايو٢٠٠٣:" دعونا ننظر الى الامر ببساطة...فالعراق الاهم بين كوريا الشمالية ، والعراق تكمن أهميته من الناحية الاقتصادية بصورة خاصة...لم يكن امامنا خيار اخر في العراق،فتلك البلاد تطفو على بحر من النفط"[٢٥]

اختارت واشنطن العراق لاقامة قلعة عسكرية حصينة لها في المنطقة تستطيع من خلالها السيطرة على الدول النفطية المجاورة مستقبلاً وعلى راسها ايران والسعودية وتأتي دول الخليج في

نهاية المطاف ،اما لماذا وقع الاختيار الامريكي على العراق ؟ فهو لان العراق يمتلك احتياطات نفطية هائلة لم تستغل بعد ، ولان نظامه السابق كان هدفاً سهلاً لواشنطن وهذا ما اعتقده الساسة في الادارة الامريكية والبنتاغون على الاقل.

كما ان هناك ذرائع اخرى حاولت بها حكومة واشنطن ان تبرر من حملتها العسكرية على العراق وهي ان النظام العراقي السابق سبق وان اقام تحالفات مع دول اجنبية وخاصة مع روسيا الاتحادية بعد عام ١٩٩١ أي بعد حرب الخليج الثانية بهدف اعادة بناء قوته العسكرية والاقتصادية التي دمر جزئها الاعظم في تلك الحرب المذكورة ، ومن المعروف ان روسيا الاتحادية كان لها اطماع نفطية مع العراق لقاء تعاونها معه ، اضافة الى ان الحكومة العراقية انذاك منحت امتيازات نفطية لكل من الصين وفرنسا اللتين كانتا تنتظر رفع الحظر الامريكي المفروض على العراق للاستثمار في مشاريع نفطية كبيرة تعود على اقتصادهما بفائدة كبيرة [٢٦] .

كما ان الحكومة العراقية السابقة كانت قد اقدمت من وجهة نظر الامريكية على خطوة حملت تهديداً للمصالح الامريكية باعلانها في تشرين الثاني / نوفمبر ٢٠٠٠ عن التوصل الى اتفاق مع الحكومة الفرنسية بزعامة (جاك شيراك) بتسعير مبيعات النفط العراقية ضمن برنامج النفط مقابل الغذاء باليورو بدلاً من الدولار الذي تلتزم به اوبك منذ بداية السبعينيات . فالدولار الذي يعد عملة الاحتياطي العالمي ركيزة الامبراطورية الامريكية ، واي تهديد محتمل له لحساب العملة الاوروبية من شأنه ان يجعل من اوروبا القوة المهيمنة في العالم . بل ان مجرد التفكير في احلال اليورو محل الدولار في تسعير النفط يسبب موجة رعب في واشنطن [٢٧] هذا بالاضافة الى دوافع ومبررات واشنطن في الحرب على العراق [٢٨] .

ولهذه الاسباب كان العراق المرشح "الاوفر حظاً" لان يكون الهدف الاول للتحرك العسكري الامريكي للسيطرة على نفط العالم بعد الحملة على افغانستان ، وهاهي الان الولايات المتحدة بعد حربها على العراق وسيطرتها على مقدراته النفطية والاقتصادية والعسكرية والسياسية تخطط تطبيقاً لاستراتيجيتها في السيطرة على حقول النفط والغاز في ايران تحت نفس الذرائع التي شنتها ضد العراق .

الخاتمة

بات على سياسة الولايات المتحدة النفطية من تحقيق رغباتها في السيطرة والاستيلاء على منابع النفط في جميع ارجاء العالم ، فغزوها لافغانستان والعراق ومحاولاتها الحثيثة لاجل احتواء ايران هو امر واقع ، فالدور الذي لعبته الادارة الامريكية من اثارة الاضطرابات والفتن الداخلية التي تشهدها المنطقة دليلاً واضحاً.

فقد مهدت الولايات المتحدة في خططها للسيطرة على منابع النفط طبقاً للتقارير التي اعدها الخبراء الجيولوجيين والمختصين في شؤون النفط الى جانب تقارير العسكريين والمحافظين المحيطين بادارة الرئيس الامريكي جورج بوش الذين وضعوا نصب اهدافهم الإستراتيجية السيطرة على النفط في الشرق الاوسط ، فمن المثير فعلاً ان تكون اولى حروب النفط في القرن الحادي والعشرين قد دارت على ارض العراق وهذا ما اكده الكاتب الامريكي (روبرت درايفوس) في مقالة له في احدى المجلات الامريكية التي تهتم بالسياسة العسكرية الامريكية جاء فيها:"ان المفتاح الرئيسي للامن القومي في التصور السياسي وراء السياسة الامريكية الحالية تجاه العراق يكمن في الهيمنة العالمية والسيطرة على جميع المنافسين المحتلين ، وفي سبيل تحقيق ذلك ، فأنه لا يكفي ان تكون الولايات المتحدة قادرة على نشر قوتها العسكرية في كل مكان وفي أي زمان فحسب، بل علينا السيطرة على المصادر الرئيسة ومنها نفط العراق وايران والخليج العربي بوجه خاص" .

المصادر والهوامش

(١) ارشيف وزارة الخارجية الامريكية من خطاب الرئيس الامريكي السابق جيمي كارتر امام الامة الامريكية بتاريخ ١٨ ابريل / نيسان ١٩٧٧ ،

(٢) المصدر نفسه .

(3)News Week Magazin,N.21,1997, usa,p.9
(4)Finintioal Times,usa.17nov1999.
(5) World Energy Magazin,No.18.2003,usa,p.34.
(6) www.mondiploar.com
(7) News Week,No.46,2005, ,p.32
(8)Ibid,p.33.
(9)Ibid,p.33.
(10) Ibid,p.34.

(١١) تقرير سري للغاية صادر عن هيئة الامن القومي الامريكي في مجلس الكونغرس بعنوان"النفط ازمة القرن الجديد" بتاريخ ١٦-٥-٢٠٠٠

(12) Finintioal Times,usa.17nov1999.
(13) Ibid .
(14)Scientific American,22,mar,1998.
(15)www.pbc.uk.cn
(16)Ibid.
(17)Busniness week magazine,No.27.2000.p.13.USA.
(18)Washington post7.5.2004
(19)Ibid.
(20)News Week,No47,2005,p.18.
(21) Busniness week magazine,No.27.2000.usa.
(22)Ibid.

(٢٣) تقرير سري للغاية صادر عن هيئة الامن القومي الامريكي في مجلس الكونغرس بعنوان"النفط ازمة القرن الجديد" .بتالريخ ٢٧-٩-٢٠٠٢

(٢٤) المصدر نفسه .

(٢٥) المصدر نفسه .

(٢٦) المصدر نفسه .

(٢٧) المصدر نفسه .

(٢٨) للمزيد من التفاصيل حول ذلك .انظر : محمد سالم احمد الكواز ، الحرب على الارهاب ..استراتيجية جديدة للامبريالية الامريكية المعاصرة ايران انموذجاً ، بحث منشور من وقائع مؤتمر كلية الاداب ، جامعة الموصل ، منشور في مجلة اداب الرافدين ، العدد ٤٤، ٢٠٠٧.